استعمال اشعة اكس وهي تصلح للرجال والنساء على حدٍ سوى . والثالثة نقل بعض الغدد المتداخلة من الشبان الى الشيوخ

والظاهر ان اول من قال بشيء من ذلك الدكتور برون سيكار العالم الفسيولوجي المشهور فقد قال انهُ حقن نفسهُ تحت جلده بمادة مستخلصة من خصية حيوان فشعر بتجدُّد قواهُ الحيوية وكان شيخاً في الثانية والسبعين من عمره . ثم اتضح ان الفعل الحقيقي هو لمفرزات الغدد المتداخلة وهي توجد في الخصيتين والمبيض وتفرز مفرزاً داخلياً لهُ تأثير خاص في الحيوان

ولو كانت ظواهر تجديد الشباب خاصة بالانسان لقلنا انها قد تكون من قبيل التوهُّم والاعتقاد اما وهي ظاهرة في الحيوان ايضاً فلم يبقَ سبيل للشك فيها ان كان الرواة صادقين فيما رووا

ما وراء القبر

حديث مع اديسن عن الحياة والموت

قابل كاتب اميركي المستر اديسن العالم الاميركي المشهور واستطلعهُ رأيهُ في نبإ نشرتهُ الصحف الاميركية ومفاده انهُ يبحث ويفتش لعلهُ يفوز برفع الحجاب عن حقيقة ما تصير اليهِ نفس الانسان بعد الموت ويؤيد ذلك بالدليل العلمي. وقد نشرت خلاصة هذا الحديث في مجلة السينتفك اميركان المعروفة بتدقيقها العلمي وقدمتهُ بمقدمة من عندها قالت فيها :

« اذا كان رجل في مقام لودج او اديسن يهتم بموضوع ما فان الجمهور يبالغ في الاهتمام بما يقول وبما يرجو ان يفعل . وعليهِ فلما اذيع منذ ايام ان اديسن يجرب تجاربهُ لمناجاة الموتى فسحت الصحف مجالاً واسعاً لهذا النبإ يفوق ما يستحقهُ بالنسبة الى الدرجة العليا التي بلغتها اعمال اديسن من التقدم العلمي. وقد اصابت فيما فعلت لان القراء اهتموا مزيد الاهتمام بمجرد علمهم ان اديسن يشتغل بهذه المسئلة » . الى ان قالت « واهم ما في الامر ان اديسن رغم الاراجيف التي قد تذيعها الصحف عن هذه المسئلة وعلاقتهِ بها يسعى ليعود بنا الى الموقف الصحيح في امر الحياة

بعد الموت وبقاء الانفس وامكان مخاطبة الموتى » . وهذه صورة الحديث . قال الكاتب :

« ان اديصن الذي استنبط المصباح الكهربائي والفونغراف والصور المتحركة وبطرية النكل والحديد والدينامو الكامل وغيرها من المكتشفات والمخترعات التي تدخل اعمالنا اليومية سيوجه سعيهُ وجهدهُ الى امر يفوق كلّ اكتشاف واختراع بما لا يقاس . فان في العالم نحو ١٥٠٠ مليون نسمة سيدركهم الموت عاجلاً او آجلاً ولكنهم يجهلون كلّ الجهل مصيرهم بعدهُ . ومثل ذلك يقال عن مجيئنا الى هذه الدنيا . وعليهِ فالحياة والموت لا يزالان سرّاً من الاسرار ولغزاً من الالغاز التي لم يفتح بها على مخلوق

منذ بضعة اسابيع شاع ان هذا المخترع العظيم يعدُّ طريقة او آلة لمخاطبة الذين انتقلوا من هذا الوجود الى وجود آخر او عالم اخر . فنشرت صحف اميركا واوربا ان توماس اديصن اندمج في صفوف الروحانيين الذين بينهم الآن كثيرون من كبار العلماء والمؤلفين والمخترعين والطبيعيين والمهندسين ورجال الدين وغيرهم. ووصف الكتّاب الفرنسويون الواسعو الخيال آلة اديصن بانها محطة تلفونية او مكتب تلغراف او ما اشبه يقصدها الناس ليخاطبوا منها ارواح احبائهم واصدقائهم في العالم الآخر بطريقة عاجلة اكيدة

وليس في الناس احد اشد اسفاً من المستر اديصن على اذاعة اخبار مثل هذه. فقد قال لي في حديثي معهُ « اني لا استطيع تصور شيء يسمونهُ الروح . تصوّر شيئاً لا ثقل لهُ ولا صورة مادية ولا حجماً . وبعبارة اخرى تصور غير شيء . انا لا استطيع ان اعتقد ان الارواح يمكن ان ترى في احوال معينة وتحرك الموائد او تقرع عليها او تعمل اعمالاً سخيفة مثل هذه وكل ما قيل من هذا القبيل حديث خرافة »

واقول هنا انهُ انما قابلني لازالة ما علق بالاذهان من الاشاعات التي شاعت عن غرضهِ من البحث والتنقيب في هذا الموضوع . ولا تزال الآلة التي شاع انهُ يصنعها في دور التجربة والامتحان . وقد طلب مني ان اعلن ما يأتي . قال :

« فكّرت منذ مدة في اختراع آلة او اداة يمكن ان يستخدمها او يؤوّل فيها الذين غادروا هذا الوجود الى وجود آخر او عالم اخر . والآن اسمع وع

ما اقول لك .انا لا ادعي ان شخصياتنا تنتقل الى وجود آخر او منطقة اخرى . ولا ادعي علم شيء في هذا الموضوع لاني لا اعلم شيئاً فيهِ ولا احد من الناس يعلم. ولكني ادعي انهُ يمكن صنع آلة بالغة من الدقة مبلغاً بحيث انهُ اذا كان اناس في عالم آخر يريدون مخاطبتنا في هذا العالم فان هذه الآلة تكون اوفى بهذا الغرض من تحريك الموائد او النقر عليها او غير ذلك من الوسائل السخيفة المعروفة

والحق يقال ان سخافة هذه الوسائل هي التي تحملني على الشك في صحة مناجاة الموتى التي يدعونها. فلست ادري لمَ يضيع الاشخاص الذين في العالم الآخر وقتهم في تحريك مثلث من الخشب على مائدة عليها حروف الهجاء. وما غرضهم من تحريك الموائد . هذا كلهُ يظهر لي من الاعمال الصبيانية حتى لا استطيع ان ابحث فيهِ بعين الجد والاهتمام . وعندي انهُ اذا شئنا أن نتقدم تقدماً حقيقياً في البحث العقلي وجب ان نتقدم عليهِ بالآلات العلمية وبالطرق العلمية كما نعمل في الطب والكهربائية والكيمياء وغيرها

اما ما أريد ان اعملهُ فهو ان اجهز الباحثين في المباحث العقلية النفسية بآلة تلبس عملهم لباساً علمياً . وهذه الآلة ستكون مثل مصراع او تشبه مفتاحاً صغيراً يستطيع بهِ رجل واحد ضعيف القوة ان يفتح مصراعاً تدار بهِ آلة قوتها ٥٠ الف حصان . وستكون آلتي على هذا المثال حتى ان اصغر قوة تكبر بها كثيراً فتساعدنا على بحثنا . ولا اقول اكثر من ذلك عن ماهيتها . وقد مضت عليَّ مدة وانا اشتغل بتفاصيلها وكان يعاونني في عملي هذا صديق فترفي متذ حين . ولما كان يعلم ما انا ساعٍ اليهِ فالواجب ان يكون اول من يقدر على استعمال هذه الآلة ان استطاع ذلك

واعلم اني لا ادعي اني اعلم شيئاً عن بقاء الشخصيات بعد الموت ولا اعد بمخاطبة الذين انتقلوا من هذا الوجود وانما اقول اني ساعٍ في تجهيز الباحثين النفسيين بآلة قد تساعدهم في عملهم كما يساعد المكرسكوب رجال الطب في ماحثهم. واذا عجزت هذه الآلة عن ان تكشف لنا شيئاً خارق العادة فاني افقد كل ثقة واعان ببقاء الشخصيات بعد الموت كما نعرفهُ في هذا الوجود »

ومما يقال عن المستر اديسن انهُ لا يصدق المذاهب المعروفة في الحياة

والموت لانهُ يعتقد انها فاسدة الاساس . قال لي باسطاً مذهبهُ فيها « عندي ان الحياة كالمادة غير قابلة للفناء . فقد كان في هذا العالم مقدار معين من الحياة على الدوام وسيبقى هذا المقدار كما هو على الدوام . فانك لا تستطيع خلق الحياة ولا ابادتها ولا مضاعفتها . وفي اعتقادي ان اجسامنا مركبة من ملايين من الكائنات المتناهية في صغرها وكلٌّ منها حي منفرد ويرتبط بعضها ببعض لتكوين الانسان . ونحن نقول عن انفسنا ان كلاً منا شخص واحد قائم بنفسهِ ونتكلم عن الهرة او الفيل او الحصان او السمكة كأن كلاً منها فرد قائم برأسهِ ولكني ارى ان طريقة التفكير هذه فاسدة الاساس فان هذه الاشياء كلها تظهر انها بسيطة مفردة لان الكائنات الحية التي تتألف منها اصغر من ان ترى حتى باعظم المكبرات

وقد يُعترض على هذا الرأي بانهُ اذا كانت هذه الكائنات صغيرة الى هذا الحد فلا يمكن ان تكون مؤلفة من اعضاء مختلفة تستطيع القيام بالاعمال التي سأذكرها. فاقول في الردّ على ذلك انهُ لا حدّ لصغر الاشياء كما انهُ لا حدّ لكبرها واكتشاف الالكترون خير جواب على مثل هذا الاعتراض . فقد ظهر لي بالحساب انهُ يمكن وجود حي متقن التركيب والتنظيم مؤلف من ملايين من الالكترونات الصغيرة التي لا ترى بما نعرف من المكبرات

وهناك دلائل كثيرة تدلُّ على اننا نحن الخلائق البشرية يتصرف كلٌّ منا تصرّف جماعة من الاحياء لا تصرف حي واحد . وهذا ما يحملني على الاعتقاد ان كلاً منا يحتوي على ملايين من الاحياء وان اجسامنا وعقولنا تمثل اعمال الكائنات التي تتألف منها

ولننظر الآن في السبب الذي يحملني على القول انهُ لا بدّ ان تكون اجسامنا مؤلفة من هذه الكائنات . خذ بصمة ابهامك كما يفعل البوليس في بصم اباهم المجرمين ثم ازل خطوط ابهامك بحرقها بالنار . فتى نما الجلد ثانية تجد ان خطوطهُ لم تتغير البتة عما كانت قبل احتراقهِ وقد امتحنت ذلك بنفسي حتى تحققتهُ . هذا سرٌّ من الاسرار ما تزال مغلقاً حتى الآن . تقول لي ان هذا عمل الطبيعة . فان هذا جواب يراد بهِ المحاولة لا غير اذ لا معنى لهُ بل هو وسيلة لاسكات السائل بذكر كلمة فارغة مكان الجواب . ان كلمة « طبيعة » ما اقنعتني قط . اما جوابي انا فهو ان الجلد لم ينبت ثانية كما كان اولاً بمجرد الاتفاق بل ان هناك من وضع

رسوم النموّ الثاني وعني بمطابقته لرسوم النموّ الاول من كل وجه. وانت لا تعلم شيئاً من تلك الرسوم وعليه فان دماغك لم يشترك في هذا العمل. وهنا تدخل الكائنات المشار اليها وتشترك في العمل. وانا اعتقد جدّ الاعتقاد انها تحوك نسيج جلد الابهام بمزيد العناية مستعينة على رسم التفاصيل الدقيقة بذاكرتها العجيبة

ولزيادة الايضاح اقول. لنفرض ان كائناً من سكان المرّيخ هبط الى هذه الارض ولنفرض ان بصره ليس دقيقاً كبصرنا وان اصغر شيء يمكنهُ ان يراهُ بعينيهِ هو جسر (كبري) مثل جسر بروكلن. وعليهِ فانهُ لا يرى اجسامنا وقد يحسب الجسر المذكور شيئاً طبيعياً كما نحسب نحن العشب أو الرمل او المعادن وغيرها من الاشياء الطبيعية. ولنفرض انهُ هدم جسر بروكلن وذهب ثم عاد بعد سنين فرّ من هناك فوجد جسراً جديداً مكان القديم وعلى مثالهِ. فهل يقودهُ التفكر الصحيح الى افتراض ان الجسر الجديد عا بنفسهِ مكان القديم وعلى مثالهِ او الى افتراض انهُ مُدَّ ثانية بفعل فاعل عاقل. لا ريب ان الفرض الثاني اقرب الى العقل

هذا هو الموقف الذي يجب ان نقفهُ نحن ازاء الكائنات الحيوية. والمسئلة كلها مجرّد افتراض وتخمين كما لا يخفى. فقد يكون ٩٥ في المئة من تلك الكائنات التي تتألف اجسامنا منها عمالاً والخمسة الباقية مديرة للعمل وقد يكون غير ذلك. ومهما يكن من الامر فان مجموعها هو الذي يكوّن شكل اجسامنا الطبيعي وصفاتنا العقلية وشخصياتنا وما اشبه ذلك

وهذه الكائنات هي الحياة بعينها وهي لا تنتأ تعمل وترمم انسجة اجسامنا وتشرف على وظائف اعضائنا. فاذا اصيب الجسم بطارىء افضى الى موته كأن يكون مرضاً عضالاً او عارضاً او هرماً فان هذه الكائنات تفارقهُ ولا تترك وراءها الاّ بناء خاوياً خالياً. ولما كانت عمالاً لا تكلّ ولا تملّ فاما ان تدخل جسم انسان آخر او تبدأ العمل في صورة اخرى من صور الحياة واشكالها. وسواء كان هذا او ذاك فان هذه الكائنات محدودة العدد وهي نفسها عملت كلّ شيء في عالمنا هذا ولكن تعدد التراكيب التي تتألف منها هو الذي اوقعنا في الخطاء فحسبنا ان لكلّ مولود حياة جديدة

وهذه الكائنات خالدة لا تموت فانك لا تستطيع افناءها كما لا تستطيع افناء المادة وجهد ما هنالك انك تستطيع تغيير صورة المادة لا غير. فقد كان مقدار

الذهب والحديد والكبريت والاكسجين وغيرها في بدء العالم كما هو الآن بلا زيادة ولا نقصان. نعم اننا نستطيع التغيير في تركيب مركبات هذه العناصر ولكننا لم نظفر بتغيير نسبها بعضها الى بعض

وهذا هو حال الكائنات الحيوية فاننا لا نستطيع افناءها بل نغير صورها واشكالها. وقدرتها متعددة الضروب حتى يصعب علينا تمييز اصالها في كل الاحوال. وعليه لم يستطع العلماء حتى الآن ان يرسموا حدًّا بين الاشياء الحية وغير الحية. وقد يكون ان هذه الكائنات تمتد الى الجماد وتعمل فيه والاَّ فما هو الشيء الذي يجعل البلورات تتكون على اشكال هندسية محدودة

والآن نأتي الى مسئلة الشخصية. انت لكربورا (اسم الكاتب) وانا اديصن لان في كلٍّ منا مجموعاً من الكائنات يختلف عن مجموع الآخر. فقد اثبت الطب باثنتين وثمانين عملية جراحية شهيرة صمت حتى الآن ان مركز شخصيتنا هو في تلفيف من تلافيف الدماغ اسمهُ تلفيف « بروكا ». ومن العدل والصواب ان نفرض ان مركز مقرّ الكائنات التي تدير حركاتنا وتشرف عليها انما هو في ذلك التلفيف. فهو الذي يشعرنا بالتأثيرات العقلية وبشخصيتنا

ولقد قلت ان ما نسميه الموت انما هو مفارقة تلك الكائنات لابداننا. والمسئلة كلها في زعمي هي مسئلة ما يجري للكائنات المرشدة التي مقرّها في تلفيف « بروكا ». اذ المعقول ان الكائنات الاخرى التي تعمل عملاً ميكانيكياً في اجسامنا تتشتت وتذهب في جهات مختلفة طالباً للعمل فيها. اما الكائنات التي تتكون منها شخصياتنا فتكون انت بها لكربورا وأكون انا اديصن ويكون زيد زيداً فماذا يجري بها. هل تبقى مجموعة واحدة او تتفرق في الكون طالبة العمل منفردة لا مجتمعة. فان كانت تتفرق فان شخصياتنا لا تبقى بعد الموت. فقد تقدم القول ان هذه الكائنات تعيش الى الابد وتحفظ الخلود الذي نرجوهُ كثير منا ولكن ان كانت تتفرق ثم تتحد بكائنات اخرى لتؤلف اجساماً جديدة منها فان ذلك يضيع علينا شخصياتنا والخلود الذي نرجوهُ أي خلود تلك الشخصيات بعينها

ولي الرجاء ان شخصياتنا تبقى. فان كانت تبقى فان الآلة التي اتاسع في اختراعها لا بدَّ ان تفيدنا. وهذا ما يحدوني على الانهماك بعملها واخراجها على غاية من الدقة. واني انتظر النتيجة بذاهب الصبر »